

# مدينة سنجار العراقية بين الصراع المحلي والتصادم الإقليمي

#### د. مهند العباسى

### مدخل اجرائى

تُعد مدينة سنجار الواقعة غرب الموصل على الحدود العراقية السوربة في المخيال السياسي لصانع القرار الكردي جزء لا يتجزأ من مشروع الدولة الكردية المستقبلية التي يطمحون اليها، إذ تُعد سنجار مدينة إسترتيجية وطربق إمداد لكل الأطراف المحلية منها أو الإقليمية وحتى الدولية فضلاً عن فصائل الحشد الشعبي المتواجدين في تلك المنطقة. إذ تطمح الولايات المتحدة إلى إنشاء قاعدة عسكربة للقيادة والسيطرة لتأمين مصالحها فضلاً عن تأمين حدود إقليم كردستان وضبط أيقاع الأطراف المتصارعة عقائدياً والتي قد تمهد لصراع بين امراء الحرب والتحول إلى (صومال العراق)، خاصة إن حزب العمال الكردستاني يسعى إلى اقامة كان تون خاص به في سنجار من أجل تأمين إمداداته تجاه تركيا وتدرب مقاتليه بعيداً عن الضغط التركي، الا إن تلك المنطقة عادة ما تتعرض لضربات عسكرية تركية لاستهداف قادة وتجمعات حزب العمال الكردستاني ومحاولة إضعافه، هذا السعي لإقامة كان تون جاء بعد الاتفاقية الموقعة بين تركيا والحزب من خلال وقف عملياته داخل تركيا والقاء السلاح ومن ثم ارسال 5000 آلاف مقاتل إلى كردستان العراق مقابل ادخال 200 شركة تركية للاستثمار في الإقليم (1)، وبسبب الطبيعة العسكرية للحزب استطاع توظيف أحداث حزيران 2014 ودخول تنظيم الدولة الإسلامية إلى سنجار وتهجيره للأقليات من خلال الدفاع عن تلك الأقليات وطرد مقاتلي تنظيم الدولة ومحاولته إدارة الإقليم وبتنسيق مع إدارة إقليم كردستان والحكومة الاتحادية من خلال قيادته للكثير من فصائل الحشد الشعبي المحسوبة على الحكومة العراقية وهذا ما يثير حفيظة تركيا بشكل كبير جداً من الحكومة العراقية، إذ تنطلق تركيا عادة بالتلويح بورقة داعش مقابل ورقة حزب العمال الكردستاني المدعومين بشكل غير مباشر من قبل

<sup>(1)</sup> نقلاً عن: سعيد الحاج، عملية السلام مع أكراد تركيا أمام مفترق طرق، تقرير، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2016)، ص5.

الحكومة العراقية والتي تساوم بدورها الحكومة التركية بورقة حزب العمال الكردستاني من خلال مرجعيتها في أيران والتي تعمل على ترك حزب العمال لنشاطاته للضغط على تركيا بشكل غير مباشر والوصول إلى المناطق الجنوبية من تركيا ومحاولة تطويقها من خلال فصائل الحشد الشعبي التابعة لإيران، وذلك بالرغم من وجود اتفاقية أمنية مشتركية بين العراق وتركيا لتسليم المطلوبين على لوائح الإرهاب بين الطرفين، وبالتالي فإن الحزب عمل على تشبيك علاقاته بالفصائل المسلحة العراقية فضلاً عن فصائل قوات سوريا الديمقراطية والتي لها نشاطات على الشريط الحدودي بين العراق وسوريا بالإضافة إلى تشبيك علاقاته مع إقليم كردستان العراق.

### البيئة الداخلية لمدينة سنجار

إن منطقة سنجار تُعد (بـؤرة ازمات مستقبلية) من خلال تواجد كل الأطراف سواء التابعة لإيـران (الحشد الشعبي) أو التابعة لسوريا (قـوات سوريا الديمقراطية) أو الولايات المتحدة (مشروع قاعدة عسكرية) أو كردستان العراق (قـوات البيشمركة الكردية) أو حتى بعض الأشخاص ذوي الـولاء لتنظيم الدولـة الإسلامية فيما يعرف بـ (الـذئاب المنفردة) أو (الخلايا النائمة) والتي قد تتحرك في أي لحظة بتنسيق مع تركيا، فضلاً عن قـوات الامن العراقية والتي تُعد الحلقة الأضعف من بين كل تلك القـوات المتواجدة على على الأرض لـذا فـإن سنجار تضم حالياً ما يقـارب 30000 ألـف مقاتل غيـر متجانسة سواء فكريـا أو عقائدياً أو حتى تنظيمياً، فضلاً عن صـراعات تاريخية ومصـلحية على إدارة تلـك المنطقة كما إنها غيـر منضبطة في شكل عائديتها لدولـة محددة (ماعدا قـوات الامـن العراقية) وبالتـالي غيـاب الإطـار المرجعي الذي يضـبط أيقاع عملها وهـذا ما يهـدد بانفجارها في المستقبل القرب.

ينقسم الأيزيديون حول مصير مدينتهم غير إن الكثير منهم يفضلون إن تخضع المدينة لحكم ذاتي تحت حماية دولية بيد إن البعض يريدون البقاء تحت السلطة الاتحادية في حين يفضل آخرون حكومة إقليم كردستان المستقرة نسبياً، ومنذ أكثر من عامين يدير شخصان قضاء سنجار بمنصب قائم مقام؛ أحدهما فهد حامد ويمارس عمله في مركز القضاء، والثاني محما خليل في حدود إقليم كردستان بعد منعه من قبل

الطرف الأول من دخول المنطقة، ولا يعترف أحدهما بالأخر ويرفضان ترك المنصب<sup>(2)</sup>.

عام 2013، وقعت الحكومة التركية مع منظمة حزب العمال الكردستاني التركية (PKK)، المصنفة حسب انقره على إنها منظمة إرهابية، "إتفاقية لوقف إطلاق النار بصورة مؤقتة أعقبتها مفاوضات سياسية انهارت بعد أشهر قليلة بين الجانبين. قبل تلك المفاوضات، كان أحد أهم شروط الحكومة التركية في هذه الاتفاقية هو إخراج كافة مقاتلي الحزب المسلحين من الأراضي التركية وترجيلهم إلى جبال قنديل في أقصى الشمال العراقي، وفعلًا تم ذلك دون أية ردة فعل عراقية تُذكر في ظل حكومة المالكي الثانية التي انتهت في خريف عام 2014، وعلى ما يبدو فقد كان الامر في حينه مرتبطًا برغبات إيرانية لإتمام الامر لتوافقه مع أجندات إيرانية خاصة بتوظيف الحزب في أعمال عديدة داخل سنجار أهمها تشكيل كيانات انضوت تحت لواء الحشد الشعبي وكيانات أخرى مارست الضغوطات على الحكومة العراقية.

عام 2014، بدأت بعض المؤشرات تدل على إن عناصر (PKK) بدؤوا بالانتشار في مناطق عديدة من العراق من ضمنها مناطق في كركوك والسليمانية وجبل سنجار التابع لقضاء سنجار في محافظة نينوى، ولإن ظروف نشأة هذا الحزب وقدراته القتالية ارتبطت بالبيئة الجبلية الصعبة، فقد اختار عناصره التموضع في عمق جبل سنجار الذي يبلغ طوله أكثر من 71 كم لإنه يوفر له الظروف الجغرافية والأمنية

<sup>(</sup>²) سنجار العراقية بمأزق جديد.. الحشد و "PKK" يسرقان إدارتها، الخليج اون لاين، تقرير خاص، تاريخ نشر التقرير: 06-01-2019، على الرابط:

https://alkhaleejonline.net/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%B3

<sup>%</sup>D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%B1-

<sup>%</sup>D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A9-

<sup>%</sup>D8%A8%D9%85%D8%A3%D8%B2%D9%82-

<sup>%</sup>D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-

<sup>%</sup>D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B4%D8%AF-%D9%88pkk-

<sup>%</sup>D9%8A%D8%B3%D8%B1%D9%82%D8%A7%D9%86-

<sup>%</sup>D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%87%D8%A7

النموذجية فضلًا عن العسكرية من أجل التدريب والتعبئة والتخفي وحتى القتال كون عناصر الحزب هم من بين أشد المقاتلين في العالم بمثل هذه البيئة الوعرة<sup>(3)</sup>.

ويقع جبل سنجار على الحدود مع سوريا وتصل امتداداته إلى مناطق الوجود الكردي هناك أو ما بات يسمى (روش افًا) أو "كردستان سوريا"، وقد استُخدم هذا التواصل الجغرافي من أجل التهريب والتنقل المرن.

ومنذ عام 2104، وظّف عناصر (PKK) ظهور (داعش) وحالة (إنعدام الحكومة وغياب الدولة) في العراق واندفعوا تجاه عمق جبل سنجار، لتثبيت ملإذات جديدة وهناك عملوا على مساعدة آلأيزيديين النين نزحوا من القضاء إلى الجبل، وحمايتهم من هجوم داعش، مما أكسبهم تعاطفًا كبيرًا وعمَّق العلاقة بين آلأيزيديين وعناصر الحزب، تلاذلك مشاركة عناصر الحزب عام 2015 في عمليات تحرير سنجار من قبضة داعش؛ الامر الذي أدى إلى تغلغل الحزب في إدارة سنجار المدنية ورسم ملامح توازناتها الأمنية بالاتفاق مع قوات البيشمركة حتى عام 2017، حينما التعاون هذه الأخيرة إلى مغادرة سنجار (4).

وهكذا، وبدلًا من إن تضعف فرص (PKK) في البقاء بسنجار بعد انسحاب البيشمركة، تضاعفت قدرات هذا الحزب وزاد نفوذه، حيث انتقل تحالفه ليكون مع قوات الحشد الشعبي والقوات العراقية الاتحادية برعاية إيرانية لترسيخ التعاون الثلاثي المشترك وسد الفراغ الامنى الذي تركته قوات البيشمركة بعد انسحابها.

يُذكر إن عناصر الحزب وبعد مفاوضات بينه وبين الحكومة المركزية في بغداد والمجلس المحلي في سنجار قرر الانسحاب نهاية شهر مارس/ إذار عام 2018، من مدن القضاء والعودة للتموضع في جبل سنجار، غير إن تأثير الحزب لا يزال قويًا داخل سنجار سواء تأثيره عبر حلفائه المحليين أو تأثيره المباشر حول القرارات الإدارية والأمنية في القضاء.

https://rawabetcenter.com/archives/146872

<sup>(3)</sup> علي اغوان، مدينة سنجار العراقية وتدافعات الموقف الجيو أمني-الإقليمي، مركز الجزيرة للجراسات، سلسلة تقارير، نيسان 2019، ص 7.

<sup>(4)</sup> معمر فيصل خولي، سنجار في الاستراتيجية الأمنية التركية، مركز الروابط للبحوث و الدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر: 4 يونيو,2022، على الرابط:

حيث عاد النزاع مجدداً بين الأطراف المتصارعة إلى إن الجيش العراقي الموجود في سنجار منع قوات اليبشة من نصب تمثال يعود لأحد القيادات التابعة لليبشة والذي تم استهدافه من قبل قوات تركية، لهذا فإن هذه القوات تصر على إن يكون لها الدور الاول في إدارة القضاء بعيداً عن أي قوات حكومية رغم وجود اتفاقات سابقة بين الحكومة الاتحادية في بغداد و حكومة إقليم كردستان والقوت الموجودة في القضاء، الا إن هذه القوات الكردية والأيزبدية التابعة لحزب العمال الكردستاني والتي تدار من قبل قوات الحشد الشعبي وتحديداً من قبل الفصائل الولائية تحاول إن تفرض أي على الإقليم بالقوة بعيداً عن أي اتفاقات خاصة وإنها تتعامل في سلوكياتها بأسلوب الجماعات المسلحة غير المسؤولة، وبالتالي فإن الوضع في سنجار مهدد بالانهيار في أي لحظـة خاصـة وإن الحكومـة العراقيـة مسلوبة الإرادة فـي هـذه المنطقـة بسبب تـداخل النفوذ بين الأطراف الموجدة هناك، فضلاً عن إن هذه المنطقة تُعد حدودية مع سوريا وأصبحت أحد الممرات الرئيسية التي تستخدمها الجماعات المسلحة المرتبطة بإيران من أجل تهريب ونقل الأسلحة والجنود المقاتلين إلى سوريا فضلاً عن إنها أصبحت أحد بؤر تصدير المخدرات بين سوريا و الخليج من خلال العراق، لكن يبدو إن الموضوع أعمق من قضية تهريب تحدث من خلال القضاء من وإلى سوريا، حيث يلعب المتغير الإيراني مثلًا على وتر سنجار كون هذه المنطقة بالنسبة لإيران تمثل مكسبًا جديدًا تحقق بعد عام 2014 عبر ما هو موجود من حلفاء محليين لإيران هناك، وتهدف إيران إلى تحقيق نفاذية وإنسيابية أعمق داخل العمق السوري من خلال العراق، وتمثل سنجار بوابة مهمة لذلك وصولًا إلى البحر المتوسط حسب الاستراتيجية الإيرانية، لهذا تحرص إيران على وجود حلفاء في سنجار يحمون مصالحها وبوفرون لها هذه الفرصة، وهذا الامر بحد ذاته أحد أهم أسباب عدم وجود استقرار يستطيع التماسك لفترات زمنية أطول.

# التصادم المحلى في سنجار

يعود التوتر الحاصل منذ شهور في قضاء سنجار المتنازع عليه إلى إمتناع القوات الموالية لـ«حزب العمال الكردستاني» عن تطبيق قرار الجيش العراقي «إخلاء القضاء من القوات المسلحة كافة»، من خلال إبقاء عناصرها في نقاط أمنية بين المدنيين، وكانت الحكومة الاتحادية في بغداد توصلت في 9 أكتوبر (تشرين الأول)

2020 إلى اتفاق مع حكومة إقليم كردستان في أربيل لتطبيع الاوضاع في سنجار ينص على إدارة القضاء من النواحي الإدارية والأمنية والخدمية بشكل مشترك. وكانت طوال السنتين الماضيتين توجد في قضاء سنجار إدارتان محليتان؛ أحداهما تم تعيينها من قبل الحكومة الاتحادية، والثانية هي الحكومة المنتخبة والتي تقوم بتسيير أعمالها من محافظة دهوك، كما شكل «حزب العمال الكردستان»؛ المناهض لإنقرة، فصيلاً موالياً له هناك باسم «وحدات حماية سنجار» ويتلقى رواتب من الحكومة العراقية بوصفه فصيلاً تحت مظلة «الحشد الشعبي».

إذ لدى إنقرة وبغداد مصلحة مشتركة في إضعاف قدرة حزب العمال الكردستاني على تهديد تركيا انطلاقا من الأراضي العراقية، ولكن تصاعد العمليات التركية ضد الحزب منذ انهيار عملية السلام في 2015 وامتداد الصراع إلى مناطق خارج حدود إقليم كردستان العراق وفي سوريا أيضًا منحه زخمًا أكبر وجذب إليه شبكة معقدة من الفاعلين الأخرين. استطاع حزب العمال توسيع نفوذه باتجاه محافظة سنجار بعدما كان محصورًا قبل ذلك في جبال قنديل ومنطقة مخمور، كما زاد من نفوذه على وحدات حماية الشعب الكردية السورية.

بات من الواضح وجود تنسيق بين الفصائل العراقية الموالية لإيران و"حزب العمال الكردستاني" ضد القوات التركية المنتشرة في العراق. حيث إن هذه الفصائل المسلحة العراقية خلال الربع الاول من العام الجاري استهدفت قواعد عسكرية للجيش التركي في العراق، كما إن هذه الهجمات في بعض الأحوال جاءت بالتنسيق مع "العمال الكردستاني، إذ تعتقد الفصائل العراقية الموالية لإيران إن هجماتها ضد تركيا "ستردع" انقره عن مهاجمة مواقع "حزب العمال" داخل العراق وستعزز صورتها كمدافعين عن سيادة العراق. وكانت تركيا قد أعلنت الاثنين إنها أطلقت هجوما جويا وبريا جديدا ضد المقاتلين الأكراد استهدف ثلاث مناطق بالقرب من الحدود التركية شمالي العراق بمشاركة قوات خاصة ومسيرات قتالية. إذ إن تزامن العملية العسكرية التركية مع عملية الجيش العراقي ضد هدف وأحد يثبت أن هناك تنسيق بين الدولة التركية من جهة والدولة التركية من جهة اخرى، من أجل اضعاف تلك القوات وتفكيك الشبكة التي يديرها حزب العمال الكردستاني، خاصة وإن تركيا تحال مساومة العراق العروقة المياه مقابل تعاون العراق في القضاء على حزب العمال الكردستاني، لإن تركيا

تتهم العراق بدعم حزب العمال الكردستاني من خلال قوات اليبشة، وبالتالي يعد دعم غير مباشر لحزب العمال الكردستاني.

# القوات العسكرية المحلية الفاعلة في سنجار

الجيش العواقعي حيث تتواجد الفرقة 20 ولواء من فرقة 15 فيهم اعداد كبيرة من الازيديين + فوج مدرعة 9، إضافة إلى لواء 60 ولواء 72, وبالرغم من عددهم الكبير آلا إنهم لم يتحركوا بشكل كبير في الفترة الماضية خاصة مع وجود قوات اخرى موجودة على الأرض خشية من خروج الوضع عن السيطرة وامكانية توظيف داعش لهذه الصراعات والعودة إلى هذه المنطقة المتوترة، لكنهم في الفترة الأخيرة بدأوا بالتحرك بشكل فعال من أجل بسط الامن على تلك المنطقة الحيوية بالنسبة للعراق والتي أصبحت بعد هزيمة داعش خارج سيطرة الدولة العراقية إلى إن تدخل الجيش بشكل تدرييجي من خلال دور جهاز المخابرات العراقي بتحقيق خرق داخل تلك الجماعات المسلحة ومحاولة تفرقتها.

وحدات مقاومة سنجار (بالكردية: YBŞ" هي وحدات ايزيدية تشكلت في العراق في 2007 لحماية المجتمع الأيزيدي في العراق في اليقظة من الهجمات من قبل متمردين عراقيين، كما تعتبر ثاني أكبر جماعة يزيدية، بعد قوة حماية أيزيدخإن رغم إنها أكثر نشاطًا في محاربة داعش. سوياً مع فروعها النسوية، وحدات نساء أيزيدخإن

وحدات حماية أيزيخإن المنحازة سابقاً للبيشمركة، في أكتوبر 2015 أسست تحالف سنجار وهو هيكل مظلة ذو قيادة مشتركة. وحدات مقاومة سنجار ووحدات نساء أيزيدخإن يقدمان نفسهما تحت مظلة اتحاد مجتمعات كردستان وتعمل في تناغم مع قوات الدفاع الشعبي من حزب العمال الكردستاني.

ميليشيات شمر أيضا دعمت YBŞيبشا حيث إن وحدات حماية سنجار والبالغ عددهم 2000 غالبيتهم من الازيديين يمثلون فوج 80 ضمن تشكيلات هيئة الحشد الشعبي، أما قياديا، مرتبطين بحزب العمال الكردستاني، كما إن مناطق تواجدهم هي سنجار عموما وخاصة "سنوني والجبل وخانصور وتل عزير في البعاج ومناطق أخرى. إذ إنهم في 2017 انضموا للحشد الشعبي باسم لواء الفتح المبين وتغير اسمهم للفوج

80 في 2019, وتشكلوا في 2015 بدعم حزب العمال الكردستاني. أما عدد المنتسبين المسجلين بشكل رسمي في فوج 80 نحو 240 عنصر بينهم 134 عرب، آلا إن العدد الحقيقي هو 2000، وبالتالي فإن الرواتب يتم تقسيمها فيما بينهم من الناحية الرسمية، أما من الناحية العملية فإنهم يعتمدون على اقتصاد الحروب والتهريب من المنافذ الحدودية مع سوريا، ويقومون بنشاطات كبيرة لصالح أيران في تلك المناطق لتأمين الطريق البري بين العراق وسوريا.

فوج 79 من الأيزيديين ويبلغ عددهم 60 يتواجدون بسنوني، آلا إنهم ليسوا على فعالية كبيرة وإنما تم تشكيلهم نتيجة محاصصة داخل المكون الأيزيدي (رغم قلته) وبالتالي استفادت الدولة العراقية من تلك التُعددية السياسية والتي انعكست على التُعددية العسكرية بالمقاتلين، مما أعطى أو ألوية للجيش العراقي للتحرك.

قوة حماية أيزيدخإن (بالكردية: Hêza Parastina Êzîdxanê)، أيضاً تترجم باسم وحدات حمأية أيزيدخإن أو وحدات حماية أيزيدخإن، هي جماعة يزيدية تشكلت من قبل حيدر شيشو في صيف 2014 في استجابة لاضطهاد الأيزيديين على يد داعش، إنها أكبر من الجماعة اليزيدية الرئيسية، وحدات مقاومة سنجار، بأية حال، إنها أقل نشاطا من وحدات مقاومة سنجار التي قاتلت ضد داعش منذ 2014.

كانت الجماعة معروفة باسم قوة حماية سنجار (بالكردية: Şingal)، أيضا تترجم باسم وحدات حمأية سنجار حتى نوفمبر 2015، عندما غيرت الجماعة اسمها إلى Hêza Parastina Êzîdxanê أو HPÊ. قوات حماية ازيدخإن الجماعة اسمها إلى 3000 تقريباً يضاف لهم اشخاص غير مسجلين في الوزارة البيشمركة عددهم 3000 تقريباً يضاف لهم اشخاص غير مسجلين في الوزارة 7000 ويقال إنهم يستلمون راتب ويقسموا على الجميع، لكن في الحقيقة فإنهم أيضاً يعتمدون على ما يعرف باقتصاد الحروب والجريمة المنظمة والتهربب.

شرطة محلية متمثلة بمديرية شرطة سنجار بحدود 1000 منتسب، لكنهم ليسوا على قدر كبير من الفعالية القتالية كونهم مسؤولين على حماية مؤسسات الدولة والتمركز في مناطق محددة وغير مكلفين بمهام قتالية كبيرة، لذلك فإنهم أضعف حلقة في المنطقة المتوترة في ساحة سنجار المرتبكة.

نواجر شمر وهو اللواء الثالث، حيث يتواجد بالمناطق العربية في سنجار وربيعة وعددهم 500 غالبيتهم من السنة العرب، ويتبعون للنائب عبد الرحيم الشمري، وشاركوا في الحرب على داعش، اثناء سيطرة التنظيم على جزء من العراق، لكنهم لديهم مهام محددة وهي حماية المناطق التي تتواجد فيها عشيرة شمر، ويختلفون مع بقية النواب الذين يمثلون قبيلة شمر في العراق، بسبب صراعات سياسية ومصلحية أكثر منها أمنية وفكرية.

قوة سنجار حشد شعبي فوج 3 اقل من 140 شخص غالبتهم من شيعة سنجار يتواجدون في مركز سنجار، إذ إن وجود هذه القوات من أجل إن يثبت الحشد الشعبي وجوده في المنطقة ويحاول قدر الامكان أيجاد نفوذ، فضلاً عن محاولة التأثير على بقية القوات المسلحة، كما إنهم أيضاً تم تشكيلهم ضمن المحاصصة الحزبية داخل سنجار بين السياسيين.

فوج شهداء كوجو تابع للحشد الشعبي عددهم 250 (تشكيلات) حشد شعبي نايف جاشو يتواجد تل قصب وكوجو ليس لديهم تأثير كبير.

فوج قوة آلأيزيدية يتواجد في معسكر دوميز عددهم 300، ينحصر تأثيرهم في تأمين منطقة دوميز التي يتواجدون فيها.

فوج لالسش حشد شعبي أو ل فوج أسس تابع للحشد الشعبي عددهم 170 شخص يتواجد في سيبأيي وتل بنات تأثيرهم ينحصر أيضاً بتأمين تلك المناطق، واعطائهم رواتب من أجل أيصال رسائل بأنهم جزء من الدولة العراقية، الا إنهم في نفس الوقت يتمتعون بولاء لإيران والجماعات المسلحة التابعة لها.

فوج صقور سنجار من شيعة سنجار عددهم 200 حشد شعبي. ليس لديهم تأثير كبير في الساحة سوى إنهم منتسبين ضمن تشكيلات الحشد.

فرمإندا البيشمركة الأيزيدية تابع لوزارة البيشمركة عددهم 2000 تقريبا، حيث إنهم ضممن تشكيلات البيشمركة الكردية التابعة لمسعود برزإني وإقليم كردستان، الا إنهم من الأقلية الأيزيدية، ويدينون بالولاء لمسعود برزإني ولديهم تأثير استخباراتي كبير في تلك المناطق أكثر مما هو قتالي.

# الاتفاقية الأمنية والتدخل التركي في شمال العراق

وقعت الحكومة المركزية في بغداد وحكومة إقليم كردستان اتفاقية أمنية مشتركة في التاسع من أكتوبر الماضي، تهدف بالأساس إلى "استعادة الاستقرار وتطبيع الوضع في سنجار"، وهي منطقة جبلية متنازع عليها في شمال غربي العراق، وتسكنها بشكل كبير الأقلية الايزيدية.

بالرغم من إن التواجد العسكري التركي في العراق قد بدأ في عام 1994 عبر اتفاقية تسمح بضرب معاقل حزب العمال الكردستاني وملاحقته لمسافة 25 كيلومترا داخل الحدود العراقية وهي الاتفاقية التي تم تمديدها في عام 2007، آلا إنه في عام 1982 عقد تنظيم حزب العمال الكردستاني الذي تصنفه الحكومة التركية إرهابياً، مؤتمراً في لبنان، وقرر خلاله التمركز في شمال العراق، مستغلًا الفراغ الذي كان يعاني منه العراق بسبب الحرب مع إيران، وبدأ التموضع في معسكر "لولإن" على الحدود العراقية التركية الإيرانية. هذه التطورات أثارت قلق تركيا، ودفعتها إلى توقيع اتفاقية مع الرئيس العراقي إنذاك صدّام حسين، عام 1983، بهدف تحقيق الامن على الحدود بين البلدين، وهي الاتفاقية التي سمحت لها بالدخول (10 كم) ضمن الأراضي العراقية.

وفي إزار 1983، فعلت اتفاقية التعاون الامني بين العراق وتركيا وسمح للقوات التركية بالتوغل داخل الأراضي العراقية مسافة (30كم)، بهدف مهاجمة مواقع سيطرة حزب العمال الكردستاني (PKK)، وبعد يومين من بدء العملية قامت الطائرات التركية بقصف بعض مقرات الحزب الحديمقراطي الكردستاني في منطقة (باهدينإن) الواقعة قرب الحدود التركية الإيرانية".

في أيار عام 1983، أطلقت تركيا عملية عسكرية خارج حدودها بالاتفاق مع الحكومة العراقية وشارك فيها آلاف الجنود الأتراك.

في عام 2007 وأثناء زيارة رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي إلى تركيا، وبعد توقيع اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين البلدين، تم توقيع مذكرة تفاهم أمني بين الطرفين، وسمحت لتركيا الدخول بعمق 35 كلم ضمن الأراضي العراقية لملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني. وفي زيارته لتركيا، ورغم عدم توقيع مذكرة تفاهم، تتحدث المصادر التركية عن إن رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي أعطى ضوء

أخضر لتركيا لتنفيذ عمليات قصف وتحليق للطائرات المسيرة بعمق 50 كلم لملاحقة وتدمير أو كار حزب العمال الكردستاني كما ينشط جهاز الاستخبارات التركي على نطاق واسع في إقليم كردستان، وبحسب التقارير استخبارية، هناك 4 مقرات رئيسية له في كلّ من العمادية وماتيفا وزاخو وكاراباسي في مركز مدينة دهوك. حيث إن المخابرات التركية لها دور كبير في تنفيذ عمليات الاغتيال والقصف الجوي المتكرر على مدن واسعة بإقليم كردستان. إذ إن الاستهداف التركي البري والجوي عن طريق طيرانها المسير ينفذ بالتنسيق مع عناصر لمخابراتها المنتشرين في مناطق واسعة من إقليم كردستان. وتتنوع مهام تلك المقرات الاستخباراتية، بحيث لا تقتصر على دعم الأعمال العسكرية ضد حزب العمال الكردستاني وتعزيزها، وإنما تمتد إلى العمل على ملفات سياسية وغير سياسية اخرى، مستفيدة من علاقاتها الإيجابية مع بعض القوى والأحزاب والشخصيات العراقية، الكردية والعربية والتركمانية.

يأتي هذا التحرك التركي في شمال العراق بسبب الضعف الامني الذي تمر به الدولة العراقية تحديداً في تلك المناطق و الخلافات في الإدارة المحلية لإقليم كردستان لتلك المناطق وبين إدارة الحكومة الاتحادية في بغداد، مستغلة انشغالها بالاحتجاجات الشعبية التي تهدد وجودها، فضلاً عن انشغال إقليم كردستان بالخلافات المحلية بين الأحزاب السياسية داخل الإقليم فيما بينهم من جهة وانشغالها بتأمين حدودها المحلية بعد خسارتها للكثير من تلك المناطق بعد العملية العسكربة التي قام بها رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي بإخراج القوات الكردية وإعادة تلك المناطق لسيطرة الحكومة الاتحادية بمساعدة ودعم الحكومة التركية. فضلاً عن إن السيد الكاظمي يعمل خلال هذه الفترة على محاولة أيجاد دعم إقليمي ودولي من أجل التجديد للولاية الثانية، لهذا فإنه يتعامل مع الملفات الإقليمية المرتبطة بالداخل العراقي بهدوء من أجل عدم استفزاز تلك الدول ومن بينها تركيا، حيث إنه لم يفعل المطالبة بقرار محكمة التحكيم الدولي في باريس بإن تعوض الحكومة التركية العراق بين 25 ملياراً إلى 32 مليار دولار لمخالفتها أحكام اتفاقية خط الأنابيب العراقية التركية الموقعة في عام 1973 والتي تنص على :وجوب امتثال الحكومة التركية لتعليمات الجانب العراقي في ما يتعلق بحركة النفط الخام الاتي من العراق في جميع مراكز التخزين والتصريف والمحطة النهائية، لإن الكاظمي يدرك وفق رؤيته إن حل مشاكل العراق تأتي من الخارج و ليس من الداخل على اعتبار إن الفاعل الإقليمي و الدولي اقوى من الحراك السياسي المحلية أو التوافق مع الفواعل المحلية نتيجة ارتباط الفواعل المحلية بالفواعل الإقليمية والدولية (5).

وعليه، فإن إتهام الحكومة العراقية لتركيا بتنفيذ القصف حتى لو لم تكن مسؤولة عنه، سيضع أمام تركيا عراقيل بخصوص عملياتها العسكرية؛ حيث ستسعى إنقرة لاحتواء الغضب العراقي والتعاون لإثبات عدم مسؤوليتها، كما استغلت المجموعات العراقية الموالية لإيران الحادث للتصعيد ضد تركيا؛ حيث عملت بالفعل لإقامة تظاهرة كبري أمام السفارة التركية في بغداد، وأمام مكاتب منح الفيزا التركية في المحافظات العراقية، وهو ما يفتح المجال الاحتمالات تعرض التواجد التركي في العراق عمومًا المدنى والاقتصادي لتهديدات أمنية، ابرزها استهداف قاعدة (زليكان) في بعشيقة في مدينة الموصل التي يتواجد فيها عناصر الجيش التركي، بالعديد من الصواريخ من قبل فصال مرتبطة بإيران تسيطر على مدينة الموصل، وبالتالي إمكانية إطالة أمد تلك التصادمات بين الطرفين خاصة بعد تأخر العملية التركية في شمال سوريا، التي تجهز انقره منذ شهرين اشنها، للسيطرة على المناطق التي تنتشر فيها "قوات سوربا الديمقراطية" (قسد)، والتي تشكل الوحدات الكردية عمودها الفقري، والتي تتواجد في منبج وتل رفعت وريف حلب، وتصنفها انقره تنظيمًا إرهابيًا. إذ تحاول إيران من خلال فصائلها في العراق أيصال رسالة إلى تركيا، بانه في حال قيامها بالعملية العسكرية في شمال سوريا والتي تعرض النفوذ الإيراني والروسي للخطر، فإنها سترد (إيران) على تلك العملية بتصعيد في العراق خاصة وإن القوات التركية في العراق تعانى من انكشاف واضح أما م الفصائل العراقية المرتبطة بإيران بسبب القرب الجغرافي من جهة وقلة عدد تلك القوات أمام الفصائل من جهة اخرى إضافة إلى طبيعة الحرب بين جيش رسمي مقابل فصائل لا دولتية، و بالتالي حرب لا تماثلية، حيث قامت ميليشيا "سرأيا أو لياء الندم" التابعة لإيران بقصف قاعدة تركية باستخدام طائرات انتحارية ايرانية من نوع "أبابيل-2" يوم الجمعة كرد على الاستهداف التركى للعراق، كما نفذت جماعة اخرى بواسطة ثلاث صواريخ وجهت إلى معسكر زليكان في

مرحلة جديدة: مسارات التدخل العسكري التركي في العراق، مركز المستقبل للدراسات المتقدمة، تاريخ النشر: 2018.

ناحية بعشيقة في محافظة نينوى الذي تتواجد فيه القوات التركية لكن من جهة اخرى فإن تركيا قد تعمد إلى تفعيل الطائرات المسيرة في استهداف هذه الفصائل المنكشفة هي الأخرى أمام الطيران التركي.

كل هذا يحدث وسط ضعف الحكومة العراقية المنشعلة بفواعلها السياسية بالصراع على السلطة وتشكيل الحكومة المقبلة وسط انسحاب التيار الصدري وتسريبات نوري المالكي وتهديده للسلم الأهلي، فضلاً عن تهديد السيد مقتدى الصدر بضرورة تفعيل القضاء لمحاسبة نوري المالكي نتيجة تلك التسريبات. لهذا فإن تركيا اختارت موعد مناسب من أجل تنفيذ ضرباتها في هذا الوقت.

### التصادم الإيراني التركي في سنجار

تبدو سنجار بالنسبة لإيران وتركيا ساحة جديدة لممارسة التدافع عليها بسبب الختلاف وجهات النظر على هذه الجغرافية المشوهة؛ حيث ينظر الجانب الإيراني إلى سنجار على إنها بيئة جديدة تم كسبها بعد عام 2014 من أجل الولوج في مختلف العمليات في سوريا وصولًا إلى البحر المتوسط فدمشق من ثم بيروت، وكل ذلك يتم عبر الحشود الولائية المحلية المتموضعة في القضاء بينما تنظر تركيا للقضاء على إنه بيئة جديدة وخلفية لإعداد حزب العمال الكردستاني التركي لعملياته والتدريب من أجل زيادة الضغوطات على إنقرة، فضلًا عن إن الحزب بدأ يتمتع بانسيابية أعلى من خلال الاستفادة من الموقع الجغرافي لسنجار الملاصق للحدود مع سوريا والتسلل داخل العمق الكردي السوري وبالتالي حدوث ترابط أعمق للحزب ولحلفائه مما يؤدي للإضرار بالمصالح التركية بشكل عام.

الا إنه وعلى السرغم من تشابه السياستين التركية والايرانية في دوافعهما ومسارات تحركهما فإن كاتيهما تتحسب لتوسع نفوذ الأخرى، وتُعد التطورات التي شهدتها أخيراً منطقة سنجار تجسيداً للتنافس المرجح بين الطرفين، خصوصاً في أعقاب الانسحاب الأميركي من العراق نهاية العام الحالي. فقد أدت العمليات العسكرية التركية التي استهدفت حزب العمال الكردستاني في سنجار، شمال العراق إلى موجة من نشاط الميليشيات المدعومة من ايران الذي استهدف تركيا بل إن بعض قيادات الحشد الشعبى والميليشيات المرتبطة بطهران اعتبرت إن انقره أخطر من الوجود الأميركي

بالعراق فقد ألمح قيس الخزعلي زعيم "عصائب أهل الحق" أبرز الميليشيات المتحالفة مع ايران في العراق إلى تركيا بدلاً من الولايات المتحدة، بل إنه حث الحكومة العراقية على النظر في التعاون مع الولايات المتحدة عسكرياً لمواجهة تركيا أيضاً نشرت حركة "النجباء" مقطع فيديو باللغة التركية على "تويتر" يهدد بنقل الصراع إلى تركيا واستهداف الاقتصاد التركي، ما لم يضع الرئيس رجب طيب أردوغإن حداً للتوغلات عبر الحدود.

إذ يتضح تضارب المصلحة التركية الإيرانية في ساحة إقليم كردستان العراق في نتيجتين اثنتين؛ الأولى تزايد وتيرة الصدام في قضاء سنجار، لإن تطورات القضاء تنبئ بصراع تركي أيراني محموم في قادم الأيام، والسبب يعود إلى إن المشكلة الأمنية التي يخلقها وجود حزب العمال الكردستاني في سنجار والشمال العراقي، تشكل الهاجس الامني الأول لدى تركيا، وهي بذا تدرك مدى تأثير النفوذ الإيراني في القضاء على حسابات المكاسب التي تجنيها سواءً في العراق أو في سوريا، في حين يكترث الطرف الإيراني ببسط هيمنته على القضاء العراقي المحاذي لسوريا، كي يتسنى لله إمداد السلاح ونقل الميليشيات الولائية عبر الحدود العراقية السورية بسهولة، وكي يكبح التمدد التركي باتجاه مناطق نفوذه الاستراتيجية .

كما إن طهرإن تشعر بالقلق بشكل خاص من إن إنقرة التي قد تستخدم حملتها المناهضة للأكراد لتأسيس وجود عسكري طويل الامد في سنجار، كما فعلت سابقاً في شمال سوريا ومحافظة دهوك العراقية وبالنظر إلى إن العراق وسوريا المكونان الرئيسيان "لعمقها آلاستراتيجي" فإن أيران لديها "مقاربة صفرية لهذه الدول"، وهذا يعني إن طهرإن غير راغبة في الأساس في مشاركة مجال نفوذها الاستراتيجي المتصور مع الخصوم.

إذ دائماً ما تجدد تركيا اتهام طهرإن بانها تدعم ميليشيا أيزيدية كما تدعم حزب العمال الكردستاني في العراق وسوريا؛ لاستهداف القوات التركية، ما يعطي الجيش التركي مبرراً لشن عمليات عسكرية واسعة وضرب أهداف تابعة لحزب العمال وخرق السيادة العراقية، كما تصفه حكومتا بغداد وإقليم كردستان. وينقسم المواطنون الأيزيديون وهم الأغلبية في القضاء فتجد بعضهم مقربين من إقليم كردستان وتجد بعضهم الأخر

يتبع ميليشيات الحشد الشعبي المقربة من طهرإن، وفيهم أيضاً مَن هو قريب من حزب العمال، وكذلك يوجد مَن هو مقرب من الحكومة العراقية. إذ إن ايران نجحت في استغلال العديد من الميليشيات والفصائل المسلحة لصالح مشروعاتها التوسعية، ومن هذه الأطراف حزب العمال الكردستاني الذي بات يسيطر على سنجار ويشكل قلقاً لحكومة إقليم كردستان والحكومة المركزية في بغداد، ولإنقرة أيضاً، باعتبارها تفرض نفوذها على المنطقة وترفض تطبيق اتفاقية التعاون بين أربيل وبغداد، والتي تم عرقلة تنفيذها على أرض الواقع؛ نتيجة الدعم الإقليمي الإيراني لهذه الجماعة في سنجار (6).

أما على المستوى الجيو اقتصادي في البيئة المحيطة بمدينة سنجار، فلا بد من إن يتسع الصراع الإيراني التركي من أجل توسيع و تأمين نفوذ الدولتين في هذه المنطقة الحيوية والتي تُعد بؤرة لتصاعد التوتر بين القوى الإقليمية، فقد امتد توسع إلى إقليم كردستان نتيجة الترابط بين الإقليم من جهة و مصالح تلك القوى فيه، فقد جرى إحياء خطة بين تركيا والحزب الديمقراطي الكردستاني لتصدير الغاز الطبيعي من كوردستان إلى تركيا و أوروبا، حيث إن "شركة كار" الكردية وقعت في كانون الأول/ديسمبر 2021، اتفاقية لتوسيع خط إنابيب الغاز الطبيعي إلى دهوك على بعد والتركية في فبرأير /شباط الماضي، نيتها مد خط الأنابيب هذا إلى تركيا، في وقت قال رئيس الحكومة في الإقليم مسرور بارزإني إن الغاز الكردي سيتم تصديره إلى أوروبا في نهاية المطاف.

وعليه، فإن التخلص من حزب العمال الكردستاني من كردستان، أصبح أكثر أهمية، فيما من المرجح إن يستهدف حزب العمال الكردستاني خط الأنابيب، تماما كما يهاجم الحزب خط نفط كركوك-جيهإن الذي يصدر النفط العراقي إلى تركيا. إذ إن خط إنابيب الغاز هذا، سيشكل تهديدا لمصالح أيران في مجال الطاقة. حيث إن تركيا تعتبر مشترياً رئيسياً للغاز الايراني، وهذا يشكل مصدرا مهما للدخل بالنسبة إلى الاقتصاد الايراني الواقع تحت عقوبات دولية، إذ سيؤدي تنويع واردات الغاز التركي إلى تخفيض اعتماد تركيا على الغاز الايراني خاصة وإن تنويع الطاقة التركية قد يقوض

<sup>(6)</sup> تحولات محتملة: لماذا وصل "الحشد الشعبي" إلى الحدود العراقية - السورية؟، مركز المستقبل للدراسات المتقدمة، تاريخ النشر: 06 يونيو، 2017.

قدرة أيران على استخدام صادرات الغاز، من أجل ممارسة نفوذها على تركيا وعليه فإن التخلص التام من حزب العمال الكردستاني في إقليم كردستان، سيساعد في تقوية الحزب الديمقراطي الكردستاني وتركيا وتحرير الموارد السياسية والاقتصادية والعسكرية لتعزيز مصالحهما في العراق، لكن أيران التي تمتعت بنفوذ لا مثيل له في العراق عقب سقوط صدام حسين، لن تتنازل عن هذا من دون قتال.

أما على المستوى الإنساني، فإن سنجار أصبحت اليوم شبه مدينة فارغة نتيجة وجود حزب العمال الكردستاني والصراع الايراني التركي في هذه المدينة، خاصة وإن سكان ها من العرب تم تهجيرهم فترة الحرب على داعش، و بالرغم من عودة بعض العوائل الأيزيدية، آلا إن هناك حملة كبيرة يقودها بعض النواب الممثلين للأقلية الأيزيدية من أجل ترحيلهم إلى الدول الأوربية من خلال تسهيل اجراءات اللجوء لهم المي أوروبا والدول الغربية، مما يعني إن مدينة سنجار ستصبح بعد فترة مدينة غير مؤهلة للعيش بسبب الوجود العسكري للجماعات المسلحة المرتبطة بحزب العمال الكردستاني. إذ تتواصل هجرة العراقيين الأيزيديين إلى خارج العراق، وتحديداً نحو دول أو روبا، جراء المشاكل الأمنية المتفاقمة التي تستهدف أمنهم، وبسبب قيام عناصر حزب "العمال الكردستاني" بنشاطات مسلحة في مدينة سنجار، معقل الطائفة الرئيسي شمال العراق. إذ إن مدينة سنجار تخسر كل يوم عدداً من العوائل التي باتت تفضل اللجوء إلى أوروبا وكندا على البقاء في العراق، وتقوم الفصائل المسلحة وحزب العمال بشراء عقاراتهم بأسعار زهيدة، ناهيك عن الهجرة العكسية المستمرة للأهالي من المدينة المستمرة اللهائي من المدينة إلى مخيمات إقليم كردستان شمالي البلاد.

# الصراع الفرنسي التركي على سنجار

إن حالة الفراغ الجيو – استراتيجي التي تعاني منها دول المنطقة دفعت بالعديد من القوى الإقليمية لإعادة هيكلة التوازنات الاستراتيجية في أطر تخدم طموحاتها السياسية. ومن تلك القوى التي تحاول إن تلعب دور محوري في المنطقة بشكل عام والعراق بشكل خاص هي فرنسا، وهذا الاهتمام الفرنسي بالعراق ليس بالجديد، لإن هذا البلد كان من المرتكزات الاستراتيجية للسياسة الفرنسية في الشرق الاوسط خلال السبعينيات والثمانينات. وفي الفترة الأخيرة تعززت العلاقة الثنائية الفرنسية – العراقية

على عدة أصعدة واخذت باريس تهتم بتطوير البنية التحتية العراقية وتطوير العلاقات الثقافية والعسكرية والاقتصادية والسياسية.

إذ مارست فرنسا في عهد الرئيس "إيمانويل ماكرون" سياسة خارجية أكثر نشاطًا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وعززت باريس من نشاطها في منطقة الخليج وخاصة مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وتصاعد المنافسة التركية الفرنسية في عدة مسارح، إذ نجحت باريس في اختراق العلاقة مع بغداد وإقليم كردستان العراق، وجاءت زيارة ماكرون للعراق في مطلع سبتمبر الماضي، ومعارضته للتدخلات الأجنبية، كاشفة عن عمق التوجه الفرنسي حيال العمليات التركية شمال العراق.

الخط الجغرافي الممتد من حلب السورية وحتى الموصل العراقية يقع ضمن اهتمام الاستراتيجية التركية، إذ تعتبر إنقرة إن تجاوز هذا الخط يمثل تهديداً لأمنها القومي. وتنظر تركيا إلى الشريط الحدودي الرابط بينها وبين أيران والعراق وسوريا، أي مناطق تمركز الأكراد وانتشارهم باعتباره أحد أبرز مهددات الامن القومي التركي، والتي تعاظمت مع نشأة حزب العمال الكردستاني في أو اخر السبعينيات.

هذا الوجود قد يتصادم في كثير من الجوانب مع الحراك الفرنسي في العراق و المنطقة من خلال مناطق التصادم الجيوسياسي و الذي يتمثل في اقتحام فرنسا هذا المجال الجيوبوليتيكي بصورة نوعية، إذ إن فرنسا قامت بتسليح قوات "حزب العمال الكردستاني" – بصورة سرية – بسلاح متقدم، و هو ما يمثل تحدياً في مواجهة العمليات العسكرية التي تنفذها القوات التركية في شمال العراق ضمن محور جبل سنجار و مخمور و جبال قنديل، حيث تتواجد قوات حزب العمال الكردستاني، على نحو يحرج الرئيس التركي أما م المعارضة، برغم النجاحات التي تبديها القوات التركية في الشريط الحدودي مع العراق.

من جهة اخرى، فإن مقاتلين فرنسيين يقاتلون في صفوف "وحدات حماية الشعب" الكردية، وبرغم علم فرنسا بإن هذه القضية تمثل تهديداً للأمن القومي التركي، وبرغم إعلان منظمة "حزب العمال الكردستاني" منظمة إرهابية في كل من الولايات المتحدة وأوروبا فإن النيابة العامة الفرنسية لم تباشر أي تحقيق تجاه هؤلاء المقاتلين، أسوة بما يحدث مع المقاتلين في صفوف تنظيم "الدولة" الإرهابي، وهو ما مثل أحدى

إرهاصات الخلاف العميق التركي الفرنسي الراهن, كما إن فرنسا قلقة من الهيمنة الجوية التركية على سماء شمال العراق، كون هذه الهيمنة تعيق مخططاتها بتكثيف انشغال تركيا بمحيطها المباشر، العراق وسوريا. ومما يقلق تركيا – في هذا الصدد – الا تكتفي فرنسا بوجودها الجوي في شمال العراق عبر قواتها المنطلقة من قاعدتي "العديد" القطرية، و"ميناء زأيد" الإماراتية، وتقدم على الوجود البري أيضاً ما يمثل قيداً على مستقبل خطتها الإقليمية، كما مثل قيداً على بعض خططها في مواجهة "وحدات حماية الشعب" بالشمال السوري.

أما على صعيد التنافس الاقتصادي في العراق بين كل من فرنسا وتركيا، فإن كل من الدولتين تسعى إلى التواجد في المشاريع الاستثمارية في مناطق ما بعد النزاع من أجل الحصول على أكبر حصة من الاستثمارات في البنية التحتية لهذه المدن، من أجل الحصول على مدينة الموصل، فقد استطاعت فرنسا ازاحة تركيا من خلال ومن اهم المدن هي مدينة الموصل، فقد استطاعت فرنسا ازاحة تركيا من خلال حصول شركة Aeroports de Paris Ingenierie الفرنسية بمشروع تجديد مطار الموصل في ظل وجود اعتبارات سياسية لعبت دوراً في ترجيح كفة باريس، وذلك إلى جانب مخاوف العراق الاقتصادية. إذ إن العراق توصل إلى اتفاق مبدئي مع الشركة الفرنسية حيث أعطت الحكومة المركزية سلطة الطيرإن المدني صلاحية التفاوض وتوقيع اتفاق لإعادة إعمار المطار، علماً إن تركيا كانت نتطلع منذ العام 2019 إلى الرفض العراقي للعرض التركي لإعادة مطار الموصل جاء نتيجة ربط الحكومة العراقية بين الحماسة التركية وأجندة إنقرة الرامية إلى توسيع نفوذها في العراق عبر سلسلة من مشاريع إعادة الأعمار بينها تجديد مطار الموصل، لافتاً إلى إن إنقرة تسعى إلى تحويل الموصل ونينوي إلى ملتقي إقليم ي لربط البلدين براً وجواً وعبر أنابيب النفط.

الا إنه في نفس الوقت، فإنه عندما يتعلق الامر بمواجهة باريس لإنقرة، فربما لا يكون العراق منطقة تنجح فيها فرنسا، إذ إن تركيا تستخدم القوة النارية في شمال العراق بينما تقدم فرنسا القوة الناعمة لبغداد فقط، ولا يكفي هذا لمواجهة نفوذ تركيا على الأرض.

#### ميناء الفاو الكبير وعلاقاته باتفاق سنجار

إن السيطرة على مدينة سنجار العراقية تعنى بشكل مباشر السيطرة على الممر البري لطريق الحرير إلى تركيا، وبالتالي السيطرة على الحدود العراقية السورية التي تُعد بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أحد اهم المناطق التي يتم من خلالها السيطرة على تحجيم توسع النفوذ الإيراني في المنطقة من خلال قطع الجسر البري لإيران من طهران إلى البحر المتوسط مروراً بكل من العراق وسوريا وبيروت، لذلك تم الاتفاق بين حكومة إقليم كردستان والحكومة الاتحادية في بغداد بوساطة امريكية من أجل اخراج القوات التابعة للحشد الشعبي والمرتبطة بإيران، لذا تسعى أيران على الإصرار على اكمال مشروع ميناء الفاو الكبير في ليكون امتداد لتوظيفها هذا الميناء كممر لنفوذها في المنطقة وبالتالي السيطرة على الممرات البحرية والبرية والتحكم بطرق إمدادات النفط والغاز، لكن اطراف كثيرة تعارض هذا المشروع من بينها الولايات المتحدة التي ضغطت على الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان من أجل تطبيع العلاقات في منطقة سنجار الحدودية، على اعتبار إنه في حال تم إنجاز مشروع ميناء الفاو الكبير فإنه لن تستفيد منه أيران لتمرير اجندتها الإقليمية في العراق والمنطقة، والذي يعني من جهة اخرى ربط العراق بإسرائيل التي تسعى هي الأخرى الدخول إلى السوق العراقية من خلال الموانئ البحربة والبربة وبالتالي بداية لتطبيع العلاقات بين العراق واسرائيل تبدأ ممن خلال التطبيع مع إقليم كردستان، خاصة وإن اتفاق سنجار سيمهد لقطع الطريق على الحكومة العراقية من السيطرة على شمال وغرب العراق والذي سيمهد لتقسيم العراق في المرحلة المقبلة، وبالتالي امكانية تطبيع لأطراف عراقية دون اخرى، فضلاً عن إن العراق يدرس مع الأردن إنشاء ربط سككي بينهما قد يكون أحد السياسات التي تمهد لربط العراق بإسرائيل بشكل غير مباشر من خلال تصدير البضائع الإسرائيلية إلى العراق عن طريق شركات اردنية وبوساطة مصرية وامريكية، و بالتالى ارتباط العراق واسرائيل بعلاقات تجارية، خاصة وإن هناك الكثير من العلاقات الثقافية والتجارية تم التمهيد لها مسبقاً بشكل غير معلن بين كل من اسرائيل وكردستان العراق، لنذا فإن إتفاق سنجار ومشروع البربط السككي بين العراق والأردن فضلاً عن ميناء الفأو الكبير في حال قيامه بعد التُعديلات التي اجربت عليه سيمهد ويسهل العلاقات الإسرائيلية العراقية وبربط العراق باتفاقيات قد لا تستطيع الحكومات القادمة

الخروج منها بسبب الطبيعة التعاقدية للاتفاقية . لذلك فإن اتفاق سنجار وعلاقته بميناء الفاو سيكون بداية لتقسيم العراق على اسس طائفية، خاصة و إن تركيا هي الأخرى تسعى من خلال استراتيجية الاقتراب غير المباشر في شمال العراق على إن تكون جاهزة للتعامل مع أي تقسيم قد يقبل عليه العراق، وبالتالي فإن التقسيم الجديد وفق هذه المعطيات سيؤدي إلى تأسيس كانتونات ضعيفة بمواجهة الدول الإقليمية والدولية، من جهة اخرى فإن الأطراف السياسية الفاعلة في الساحة العراقية المحلية بدأوا بالرغبة في تقسيم العراق من خلال الوصول إلى قناعة مفادها إنه لا يمكن التعايش بين كل الطوائف العراقية في المجتمع العراقي وبالتالي فإن التقسيم هو الحل الأبرز في الساحة العراقية في المرحلة القادمة، الا إنه يوجه معرقل رئيسي متمثل بالفواعل التابعة لإيران في العراق التي ترفض أي تقسيم محتمل لإنه يعرض مصالحها للخطر بعد إن هيمنت على كل العراق التي تتيجة انسحاب القوات الأمريكية في العام 2011، بالرغم من إنها كانت قبل 2003 من الداعمين لتقسيم العراق، و من المحتمل إن توافق مضطرة على فكرة التقسيم نتيجة تراجع دورها حفاظاً على نظامها السياسي الذي يعاني من ازمات فكرة التقسيم نتيجة العقوبات المفروضة عليها من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب.

# رؤية الحكومة الجديدة لأزمة سنجار (حكومة السودإني)

على الرغم من إن توجه السودإني في التعامل مع ملف مدينة سنجار لم يظهر لغاية اللحظة، آلا إن القوى السياسية المعنية بالملف تنتظر وجود إرادة حقيقية وجدية لحكومته لإنهاء مشكلة سنجار، والتوصل إلى حل سياسي يعيدها لسلطة الحكومة المركزية ببغداد وينهي وجود المجموعات المسلحة، الا إنه في نفس الوقت فإن القوى المعرقلة لتطبيع الاوضاع هي حليفة لرئيس الوزراء وشريكة أساسية له في الحكومة. إذ يحظى "الكردستاني" بعلاقات واسعة مع جماعات عراقية حليفة لإيران أبرزها "كتائب حزب الله"، و"عصائب أهل الحق"، و"سيد الشهداء"، و"النجباء"، و"حشد الشبك" و"بابليون"، واتخذت تلك الجماعات خلال حكومة الكاظمي موقفاً معارضاً لاتفاقية

تطبيع الأوضاع في سنجار، وعملت على إفشال تطبيقها، وهو ما اعتبر بطبيعة الحال موقفاً إيرانياً غير مباشر رافضاً لتلك الاتفاقية<sup>(7)</sup>.

وعليه، فإن حكومة السيد السودإني قد تكون مقيدة إلى درجة كبيرة في الاتفاقات المسبقة التي تشكلت على اساسها مع القوى السياسية الأخرى، وتحديداً تلك المرتبطة بمصالح عدم تطبيع الأوضاع في سنجار وبالتالي الهروب من تطبيق اتفاق تطبيع الأوضاع في سنجار، لأنها ترى إن استمرارية وجودها يتوقف على مدى استجابتها لتنفيذ اتفاقات تشكيل الحكومة، خاصة وإنها حكومة توافقية مسلوبة الإرادة لصالح القوى المنضوية فيها، إضافة إلى الصراع الدائر بين القوى السياسية داخل قوى الإطار التنسيقي بين جناح قيس الخزعلي من جهة، الذي يرى ضرورة إن تدار العملية السياسية من خلال مرجعية الإطار التنسيقي، وبين نوري المالكي الذي يرى ضرورة إلى عصائب اعطاء الفرصة للسيد السوداني لإدارة الملفات السياسية بإرادة (مستقلة)، وبالنتيجة فإن المسيد هذه القوى تمتلك رؤى مختلفة في كيفية التعامل مع ملف سنجار خاصة وإن عصائب اهل الحق لديها نفوذ ومصالح كبيرة في مدينة سنجار، من جهة اخرى فإن السيد المالكي هو الأخر يرتبط بعلاقات مصلحية كبيرة مع قوى كردستان فيما يتعلق بكثير المالات.

إن حكومة السيد السودإني وبسبب التحديات الكبيرة التي تواجهها من قبل ضغوطات القوى السياسية، وأبرز تلك التحديات هو (البقاء والاستمرارية) باستحقاق دستوري كامل، خاصة مع القوى الكردية وضرورة الحصول على موافقتهم في ملفات

<sup>(7)</sup> سيف العبيدي، أزمة سنجار تختبر قدرة السوداني على حسم الملفات الحساسة، العربي الجديد، تصليخ النشريخ النشريخ النشريخ النشرابط:

https://www.alaraby.co.uk/politics/%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-

<sup>%</sup>D8%B3%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%B1-

<sup>%</sup>D8%AA%D8%AE%D8%AA%D8%A8%D8%B1-

<sup>%</sup>D9%82%D8%AF%D8%B1%D8%A9-

<sup>%</sup>D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A7%D9%86%D9%8A

<sup>-%</sup>D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AD%D8%B3%D9%85-

<sup>%</sup>D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA-

<sup>%</sup>D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D8%A7%D8%B3%D8%A9

كثيرة شائكة، فإنها لا تستطيع إن تتدخل في ملف سنجار بشكل كبير، لإنها تدرك إن أي استفزاز للقوى الكردية فيما يتعلق بسنجار سيؤدي إلى ضغوطات مضادة من قبل هذه القوى على حكومة السودإني مما سينعكس على طبيعة واداء الحكومة في المرحلة المقبلة. إذ تعمل حكومة السيد السودإني على محاولة تفكيك نفوذ حكومة الكاظمي بكل قراراتها ورؤيتها السابقة وفرض رؤية جديدة تختلف كلياً عنها، خاصة إذا علمنا إن حكومة السيد السودإني تعمل على محاولة إقالة رئيس مجلس النواب السيد مجد الحلبوسي بالتوافق مع القوى السنية المتمثلة بتحالف (عزم) والتفاوض مع القوى الكردية لأجل الحصول على موافقتها في مجلس النواب، وهذا يعني ضرورة عدم استفزاز القوى الكردية في الملفات الشائكة وأبرزها ملف سنجار.

وعليه، فإن ملف سنجار قد يبقى شائكاً ومعقداً أو على الأقل بلا حلول حقيقية إلى حين اجراء انتخابات مبكرة سواء مجلس المحافظات أو مجلس النواب، لإن أي محاولة لتطبيع الأوضاع في سنجار من قبل الحكومة الاتحادية سيعني بالنتيجة إعادة المهجرين من العرب إلى المدينة، مما سينعكس على استعادة العرب لثقلهم النيابي والسياسي، وهذا ما ترفضه القوى الكردية على الأقل في المرحلة الحالية أو المقبلة إلى حين ترتيب أوضاع الانتخابات في هذه المدينة، وبالتالي فإن رؤية حكومة السودإني فيما يتعلق بسنجار قد لا تعمل على إدارة الأزمة بقدر ما هو محاولة الإدارة بالأزمة لأوضاع سنجار لحين اجراء الانتخابات.

# الصراع في سنجار: رؤية مستقبلية

إن خيار المنطقة الامنية شيمالي العيراق إلى واجهة النقاش كأحيد الحلول المطروحة أمام تركيا لمواجهة مقاتلي حزب العمال الكردستاني، خاصة بعد عملية "قفل المخلب" العسكرية الأخيرة التي أطلقتها لتأمين عدد من المناطق المهمة والحساسة بالنسبة لها. ورغم إنشاء تركيا منطقة آمنة شيمالي سوريا، فإن الوضع العراقي يختلف لجهة عدم وجود نازحين لإسكان هم في تلك المنطقة، كما حصل مع السوريين، لكن بوجود مأزق حزب العمال الكردستاني، وطول الصراع مع تركيا، قد يجعل هذا المسار واقعاً في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية الجانحة نحو تصفية الخلافات وتصفير المشكلات البينية. وتكتسب المنطقة التي انطلقت فيها العملية التركية الأخيرة أهمية

كبيرة، كونها ممراً استراتيجيا بري لـ "حزب العمال" إلى تركيا، كما تتسم طبيعتها بالتعقيد مع وجود الكهوف والتحصينات؛ مما يستدعي -وفق خبراء - البقاء العسكري الدائم فيها لتأمينها بعد السيطرة عليها. إذ يعكس الصراع على سنجار في بعض جوانبه تنافسًا بين إنقرة وطهرإن على النفوذ في مدينة الموصل وعلى مدى السنوات الماضية، استطاعت تركيا من خلال العلاقات القوية التي أقامتها مع حكومة أربيل والحزب الديمقراطي الكردستاني ومن خلال استثماراتها الكبيرة في الإقليم وتجارة النفط؛ استطاعت إيجاد مساحة مرنة للتحرك ضد أنشطة حزب العمال في شمال العراق، لكنّ مساعيها لتوسيع النطاق الجغرافي للصراع يجعلها أكثر عرضة للضغط من بغداد وطهران.

من وجهة نظر أيران أيضًا تزيد خطوط الدعم المحلية من قيمة طريق الموصل سنجار إلى الحدود العراقية السورية. حيث معبر ربيعة الحدودي إلى الشمال من سنجار بالإضافة إلى معبر قريب غير رسمي اعتاد تنظيم "داعش" استخدامه للعبور إلى سوريا وهما يخضعان آلان لسيطرة مشتركة من قبل وحدات الحشد الشعبي والجيش العراقي وعلى الجانب السوري تخضع المنطقتان لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة والتي يقودها الأكراد مما يعني إن أيران ليس لها سيطرة كاملة على الحدود في الوقت الحالي. ويعد معبر القائم في الأنبار (جنوبًا) حاليًا نقطة دخول أيران إلى سوريا على الرغم من سيطرة الجماعات المرتبطة بإيران على المنطقة الا إن المعبر لا يعتبر ملائمًا بما يكفي لإنه منفتح على المناطق السنية على جانبي الحدود.

# سنجار: رؤية فيما يجب إن يكون

محلياً: ضرورة إن يعاد النظر باتفاق تطبيع الأوضاع في سنجار لإنه تم في وقت حكومة لا تتمتع بمقبولية سياسية ممن قبل اغلب القوى السياسية في حينها، وإنه جاء لمحاولة تهدئة الأوضاع وليس أيجاد حلق حقيقي وبالتالي ضرورة إشراك القوى السياسية العربية في صياغة اتفاق جديد أو على الأقل تُعديل بنود الاتفاق القديم.

ضرورة إشراك القوى المدنية والمجتمعية في إمكانية صياغة مفهوم جديد للتعايش السلمي بين المكونات المجتمعية في سنجار وعدم الاقتصار فقط على الحلول

الأمنية والسياسية مما يعزز من مشروعية تلك الاتفاقات ويعطيها المصداقية في التنفذ.

ضرورة أيجاد حلول فعالة لمشكلة النازحين والضغط على الحكومة لإغلاق المخيمات من أجل إعادة النازحين إلى مناطقهم في سنجار.

أما من الناحية الأمنية وبسبب خصوصية المدينة فإنه من الضرورة بمكان إن تكون القوة الماسكة للأرض متمثلة بقوة ذات ولاء عراقي مطلق بعيداً عن الجهات والجماعات المسلحة المرتبطة ببعد ذات امتداد إقليمي أو حتى مصالح محلية خاصة بعيداً عن المصلحة الوطنية.

ضرورة إن يكون هناك حملة أمنية لطرد حزب العمال الكردستاني والجماعات المرتبطة به لإنها أصبحت ورقة ضغط للتدخل التركي في العراق بحجة احتواء الدولة العراقية لمسلحي حزب العمال الكردستاني الذي اتخذ من مدينة سنجار قاعدة خلفية لتنفيذ عملياتها بالداخل التركي والسوري.

إقليمياً: إن وضع سنجار لايرتبط بالنفاعلات المحلية فقط، وإنما هناك تفاعلات ذات أبعاد إقليمية مرتبطة بالوضع السوري والتركي والإيراني، وبالتالي ضرورة تفعيل الدبلوماسية العراقية مع دول الجوار الإقليمي لأيجاد حلول حقيقية خاصة وإن تقعيل الدبلوماسية العراق برعاية حزب العمال الكردستاني مما يعني إن العراق يعمل على دعم جماعة مصنفة ارهابياً وفق رؤية الامن القومي التركي، وبالتالي أما الضغط على تركيا من خلال الملفات الاقتصادية أو التفاوض مع تركيا وجرها للتعامل مع حكومة بغداد وليس حكومة إقليم كردستان. إضافة إلى إيران التي تعمل على بناء الجسر البري وليس حكومة إقليم كردستان. إضافة إلى ايران التي تعمل على بناء الجسر البري الغاز إلى أوروبا، إذ تعتمد في تعزيز نفوذها على الجماعات المسلحة الصديقة لها المتمركزة في هذه المناطق الحدودية وأهمها سنجار العراقية وبالتالي ضرورة التفاوض مع إيران من أجل الوصول إلى حلول حقيقية بعيداً التصادم الجيوسياسي بين القوى على دفعها باتجاه العراق بعيداً عن تهديدها للنظام السياسي في عمق سوريا، إذ إن

تلك القوى الكردية السورية ارتبط عملياتياً بحزب العمال الكردستاني مع بعض الفصائل والجماعات المسلحة العراقية الصديقة لإيران في العراق.

دولياً: ضرورة اشراك الامم المتحدة في عملية التفاوض المحلية أو الإقليمية فضلاً عن أيداع الاتفاق الذي تم أو الذي سيتم في حالة إعادة صياغته من جديد، ضرورة أيداعه في ضمن الاتفاقات الدولية وبرعاية من قبل الام المتحدة وبضمانات القوى الدولية أو إمكانية إن يتم تدويل قضية سنجار لانها قد تشكل خطر حقيقي على الامن الاقليم ي والدولي على حد سواء.

#### خاتمة

إن سعي تركيا لشن حملة عسكرية لطرد المسلحين الأكراد من منطقة سنجار، أدى إلى تغذية التنافس التركي-الإيراني مجددًا على النفوذ في الموصل التي كانت يومًا تابعة للتاج العثماني، وتضم إضافة للموصل (محافظات كركوك وأربيل ودهوك والسليمإنية) والتي يعتبرها كثير من الأتراك إرثًا عثمانيا مفقودًا. وبالنسبة للكثيرين في تركيا وخاصة أو لئك الذين ينتمون إلى اليمين من الطيف السياسي، تظل الموصل "وطنًا ضائعًا" انزلق من يد تركيا مع انهيار الإمبراطورية العثمإنية. واستخدمت حكومات مختلفة هذه القضية لإضفاء الأثارة على سياساتها الإقليمية على مر السنين.

طالما بإمكان تركيا توجيه ضربات أعمق داخل العراق من دون إن تترتب عليها تداعيات دولية، فهي تخلق بيئة أكثر تساهلاً لإيران كي تحذو حذوها. ففي إذار / مارس، أعترف «الحرس الثوري الإيراني» علناً بإطلاق صواريخ باليستية على إربيل، لكن عدم تعبير المجتمع الدولي عن مخاو فه إزاء الانتهاكات التركية لسيادة العراق حد من شدة الانتقاد الذي تعرضت له أيران. وما لم تنتهج واشنطن مقاربة متسقة فلن تتمكن من ممارسة ضغوط حقيقية على طهرإن لوقف انتهاكاتها الروتينية – سواء كانت ضربات مباشرة على فصائل المتمردين الأكراد الإيرانيين أو ضربات الميليشيات بالوكالة غير المصرّحة من قبل الحكومة العراقية.